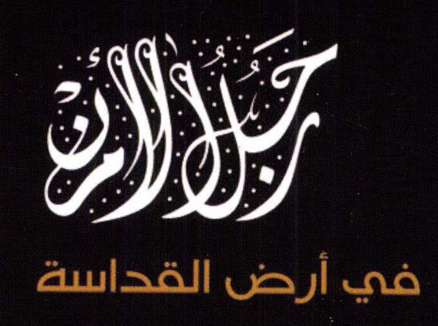


في أرض القداسة













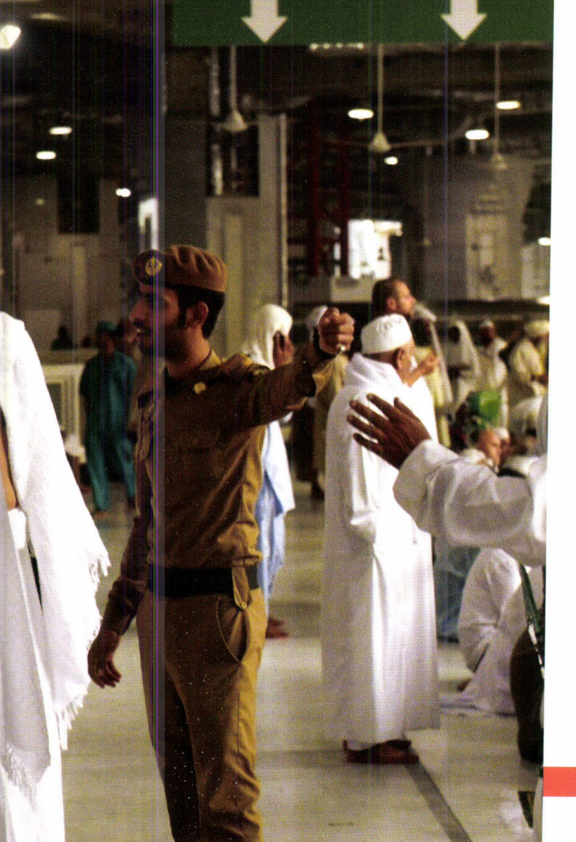



بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس



الإحرام بجانب البدلة العسكرية!



انتصف شهر ذي القعدة، وتلقيت خبر انتقالي إلى العمل في مكة المكرمة ضمن أفراد القوات الخاصة لأمن الحج والعمرة بفرحة غامرة؛ فهي فرصة سنوية نتسابق إليها، ولا تتكرر إلا مرة واحدة في العام.

أخذت أرتّب أغراضي.. هذه هي البدلة العسكرية، وهذا هو الإحرام بقربها. وهل يعقل أن أدخل بلد الله الحرام ولا أؤدي العمرة؟

اقترب موعد السفر وجميع الترتيبات أوشكت على الانتهاء . ها قد لبست الإحرام وسوف أعقد نية العمرة عند محاذاة الميقات في الطائرة.

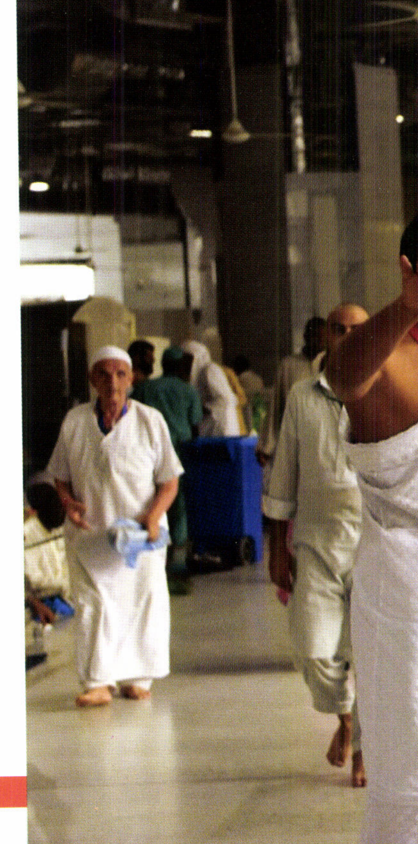
الحمد لله لن تستغرق الرحلة أكثر من ساعتين.. بعدها سوف أكون في مكة المكرّمة.

في المطار..

هذا صديقي محسن في الصالة الداخلية للمطار..

عبد الرحمن: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. كيف تسير الأمور معك؟ أجد أنك لم تنس لبس الإحرام كذلك؟ محسن: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته. كل شيء على ما يرام يا عبد الرحمن. وهل يُعقل أن يسافر مسلم إلى مكة وينسى اصطحاب الإحرام معه؟! استعد فقد أعلن المنادي قبل قليل عن الصعود إلى الطائرة.

" الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر : {سُبْحَانَ الذي سَخَّرَ لنا هذا وما كنا له مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إلى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ} اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى. اللهم هوّن علينا سفرنا هذا واطو عنّا بُعده. اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل. اللهم إنّي أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنظر، وسوء المنقلب في المال والأهل".



محسن: هل تعلم أنّ هذا الإحرام من أعظم ما يميّز قاصد مكّة المكرمة على غيرها من الأماكن؟ وهو كذلك دليل على رحمة الله تعالى بعباده.

عبد الرحمن: كيف ذلك؟

محسن: لتعظيم قَصْد البيت الحرام والمجيء إليه جعل الله سبحانه الحج والعمرة مكفّراً لما سلف من الذنوب، ومَاحِياً للأوزار، وحاطّاً للخطايا. فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أتى هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه" متفق عليه .

عبد الرحمن: هل هذه هي المرة الأولى التي يتمّ ترشيحك فيها للعمل في مكة المكرمة خلال موسم الحج؟

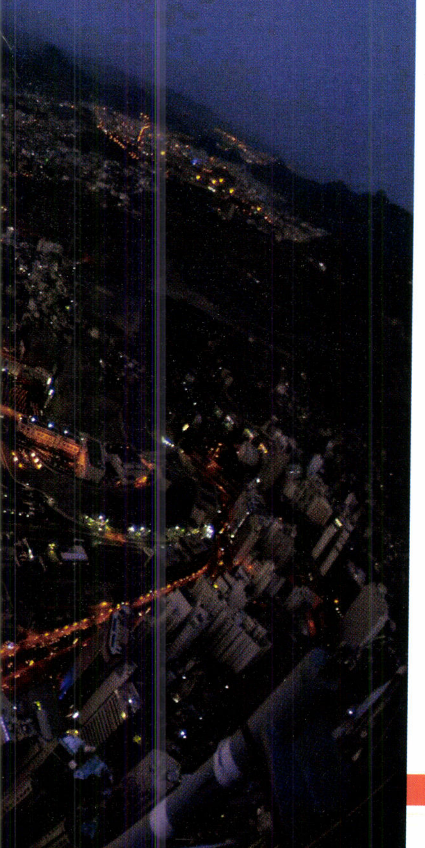
محسن : كلا، هذه هي المرة الثالثة بفضل الله تعالى.

عبد الرحمن: أشعر بالمهابة تغمر قلبي في هذه اللحظات. هل انتابك هذا الشعور في المرة الأولى عند قدومك للعمل في مكة؟

محسن: أنه شعور ينتابني دائماً كلما توجهت إلى البلد الأمين. ويزداد كلما استشعرت أنّي سأكون ضمن القائمين على حفظ الأمن في أحب البلاد إلى الله تعالى وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم.



مهمة خاصة!



عبد الرحمن: انظر إلى الأسفل! ما أجمل هذه المناظر !! أرض زراعية ممتدة، سريعاً ما تجاورها كثبان رملية، ثم تخترقها جبال شاهقة. وفي وسط كل ذلك تجد الطرقات والمنشآت العمرانية، وتلمح حركة السيارات كأنها سرب نمل دؤوب يخترق الجبال والرمال والوديان. اللهم أدم علينا نعمة الأمن والإيمان، واحفظ هذا البلاد من كل مكروه، وجميع بلاد المسلمين.

محسن: آمين. ولا تنس كذلك الجهود القائمة على توسعة الحرمين، وخدمة الحجاج والمعتمرين، وحفظ أمنهم.

عبد الرحمن: بلا شكّ، إنها جهود عظيمة تستحق الشكر والدعاء. لقد تبادر لذهني سؤال يا محسن وأنت تتحدث عن الشرف الذي أكرمنا الله تعالى به حيث اختارنا للعمل في بلده الحرام وخدمة ضيوف الرحمن: ما سرّ تفضيل مكة المكرمة عن بقية البلدان؟ لماذا يجد المسلمون جميعاً هذا الشعور في قلوبهم تجاه مكة؟





محسن: مكّة يا عبد الرحمن ليست مثل بقية المدن. كلّ المدن اختارها الناس وخططوا لها وعمروها، لكن مكّة ليست كذلك. لقد اختارها الله تعالى، وهو الذي خطّط لها، وهو الذي دعى النّاس ليأتوا إليها.

عبد الرحمن: ألم يبدأ تأريخ مكة مع مجيء إبراهيم إليها ومعه زوجته هاجر وابنهما إسماعيل عليهم السلام؟

محسن: مكّة يا عبد الرحمن وُجدت قبل ذلك فقد حرّمها الله عز وجل يوم خلق السموات والأرض، واختارها لتكون ملتقى أفئدة المسلمين، ومهوى أرواحهم. ولكي يُظهر شرفها أمر خليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام أن يحدّ حدودها، وجعل ما بداخلها حرماً آمناً.. لا يُسْفَك فيها دم، ولا تُعْضَد بها شجرة، ولا يُنَفَّر لها صيد، ولا يُخْتَلى خلاها، ولا تُلْتَقَط لقطتها إلاّ لمعرّف.

عبد الرحمن: وماذا عن الكعبة؟

محسن: الكعبة يا عبدالرحمن هي البيت الحرام الذي أمر الله تعالى خليله عليه الصلاة والسلام بأن يبنيه ليكون قبلة المسلمين ومنبراً لعبادته، يفد إليه المؤمنون على القرب والبعد من كل فج عميق، ولا يدخلونه إلا متواضعين متخشعين .. متذللين كاشفي رؤوسهم ، متجردين من لباس أهل الدنيا.

مُضيف الطائرة: عفواً على مقاطعتك. ماذا تريد أن تشرب يا سيدي؟

محسن: لا بأس، كأساً من الماء لو سمحت.

عبد الرحمن: وأنا كوباً من الشاي من فضلك.

مُضيف الطائرة: حسناً، تفضلاً. يبدو من حديثكما أنكما تقدُمان إلى مكة لأول مرّة!



مُضيف الطائرة: سررت بمعرفتكما. هنيئاً لكما هذا الشرف العظيم. تخيلا الفرق فقط! أنا أخدم ضيوف الطائرة لأدخل السرور في قلوبهم، بينما تتجهان أنتما لخدمة ضيوف الرحمن، ما أعظم عملكما. اسمحا لي.

عبد الرحمن: هل تصدّق! لقد غيّر هذا المضيف قناعاتي بهذه الكلمات القليلة. لا تعرف كم أثرت هذه المقارنة التي عقدها في شعوري وغيّرت من قناعاتي. نحن بالفعل ذاهبان لخدمة ضيوف الله في بيت الله. يا إلهي!!

محسن: الحمد لله أنك وجدت هذا الشعور مبكراً. سيجعلك هذا الشعور تغيّر كثيراً من عاداتك إلى الأحسن حين نصل مكّة المكرّمة، وسيغرس فيك معنى التعظيم لبلد الله المعظّم.

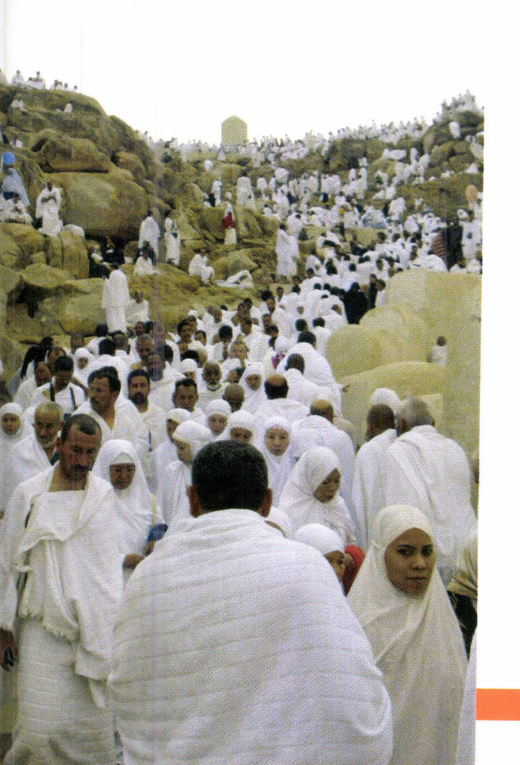
عبد الرحمن: الحمد لله على أن شرفني بالعمل الأمني في هذه البقعة المقدسة. لكن هل يستشعر جميع رجال الأمن بمكة المكرمة هذه الحقيقة؟

محسن: بلا شك. هذه أنبل مهمّة، وهي نعمة تستحق منّا الشكر؛ حيث اختارنا الله تعالى للعمل في بساط ملكه، والقيام على أمن وفده، وحفظ حرمات بيته العتيق.

محسن: على العكس، لقد زرت مكّة كثيراً، لكن هذه هي المرة الأولى التي أتجه فيها إلى مكة لأداء العمل. نحن ضمن فريق القوات الخاصة المكلّفة بأمن الحج والعمرة. اسمي عبد الرحمن، وهذا أخي مُحسن.



ما أطيبك من بلد !



عبد الرحمن: اقتربنا من الوصول إلى المطار.

محسن: ما رأيك أن نقرأ شيئاً خلال المدة المتبقية.

عبد الرحمن: فكرة رائعة.

محسن مخاطباً مضيف الطائرة..

: لو سمحت. هل يوجد لديكم مطبوعات يمكن قراءتها؟

مُضيف الطائرة: بالطبع. توجد لدينا هذه الجرائد، وتلك المطبوعات الخاصة بالحج والزيارة.

محسن: دعني أرى المطبوعات لو سمحت.

مُضيف الطائرة: بكل سرور.

محسن: سأقرأ موضوعاً يجيب عن سؤالك الذي طرحت؟

عبد الرحمن: أيّ سؤال؟

محسن: هل نسيت؟ سؤالك عن سرّ تشريف الله تعالى لمكة وتفضيلها على سائر البلدان؟

عبد الرحمن: أووه. سامحني.

مُضيف الطائرة: هذه بعض مطبوعاتنا على الطائرة، يمكنك اختيار ما شئت.

محسن: أشكرك. ناولني هذا الكتاب لو سمحت.

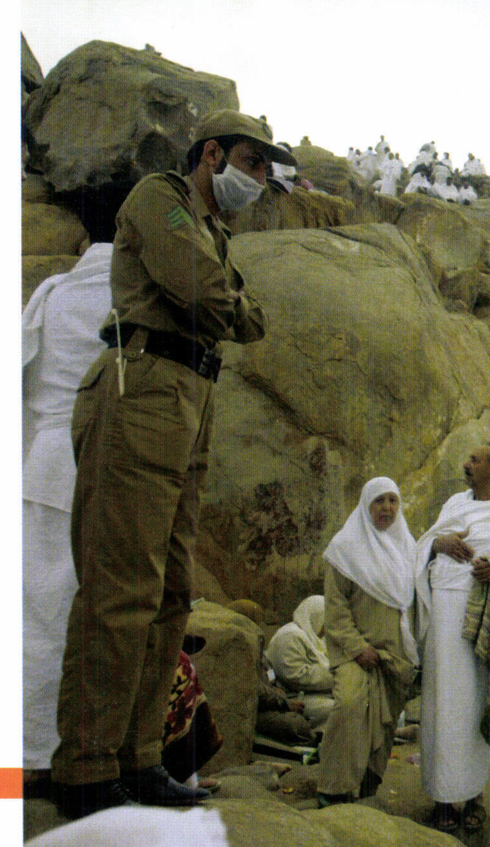
مُضيف الطائرة: اختيار موفق. إنّه كتاب رائع يتحدّث عن مكة المكرّمة وخصائصها. ها هو يا سيدي. استمتع بقراءته.

محسن: شكراً على لطفك.

عبد الرحمن: لمن هذا الكتاب؟

محسن: دعني أفتح الصفحة الداخلية. هاااه. إنّه إصدار مشترك قام به نخبة من العلماء في الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي، ومشروع تعظيم البلد الحرام.

عبد الرحمن: سامحني من الآن، سأضطر لمقاطعتك إذا بدر لي سؤال حول ما تقرأ.





محسن: لا عليك. أنا مثلك، أريد أن أتعلّم، وسوف أجيبك بما أعرف. دعني أتصفح محتويات الكتاب أولاً لنختار ما نريد قراءته.

عبد الرحمن: بالفعل، أوشكنا على الوصول، والموضوعات كثيرة.

محسن: العناوين كلها مهمّة. هذا هو! هذا موضوع جيد، يناسب مهمتنا التي سنقوم بها.

عبد الرحمن: حول ماذا يتحدّث؟

محسن: إنّه يتناول حرمة مكة المكرمة. هل نبدأ؟

عبد الرحمن: تفضّل.

محسن: دعني أفتح الصفحة أولاً. حسناً هذه هي. وهذا هو العنوان: هل تعلم من حرّم مكة؟

عبد الرحمن: نعم، إنّ الله تعالى. الله هو الذي حرّم مكّة.

محسن: لم أسألك يا ذكيّ. أنا أقرأ العنوان فقط! هلا تركتني أقرأ الموضوع أولاً ثم تضيف أنت أو تسأل بعد الانتهاء ؟

عبد الرحمن: ههههه. عفواً. تفضّل اقرأ ولن أقاطعك.

محسن: هل تعلم من حرّم مكة؟

إن الله تعالى هو الذي حرَّم مكة المكرمة, ولم يحرمها الناس، وقد حرَّمها الله عز وجل يوم خلق السموات والأرض والنصوص على ذلك من القرآن الكريم والسنة الشريفة كثيرة، منها قوله الله جل شأنه على لسان نبيه المصطفى الكريم صلى الله عليه وسلم: {إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ} [سورة النمل: ٩١]

وعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم فتح مكة: (إن هذا البلد حرَّمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، ولم تحل لأحد قبلي، ولا تَحل لأحد بعدي، وإنما أحلت لي ساعة من نهار) متفق عليه.





عبد الرحمن: لدي سؤال هنا لو سمحت لي!

محسن: تفضّل.

عبد الرحمن: إذا كان الله تعالى هو الذي حرّم مكّة فأتوقع إذن أنّ حرمتها هذه سوف تظلّ باقية إلى قيام الساعة، ولن يقدر أحد على المساس بها.

محسن: صدقت. حُرمة مكّة المكرمة لم تتوقف يوماً منذ فجر التاريخ؛ فمع توالي الأزمان، وتعاقب الدهور لم تزل هذه العاصمة العالمية محطةً خالدة للأمن والأمان. وحين أشرق نور الإسلام من بطاحها أقسم الله جل في علاه بهذا البلد واصفاً إياه بالأمين فقال سبحانه: ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾.

عبد الرحمن: أكمل القراءة.

محسن: هذا عنوان جديد آخر يتناول نعمة الله تعالى على أهل مكة بأمن بلدتهم وحرمتها، يقول:
من جملة المنن الكبرى التي امتنّ الله تعالى بها على قريش: تهيئة الأمن لهم، وحفظهم من إغارة القبائل حولهم، وتحريم بلدتهم، وحفظها من أن يصيبها الجوع أو الخوف، ودعاهم سبحانه إلى شكر هذه النّعمة وحفظها بالإيمان به ورسوله، وشكرها بأداء العبادة والقيام بحقوق الله تعالى عليهم فقال جلّ شأنه: {لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (١) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآَمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ} (سورة قريش). وقال جلّ جلاله: (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَماً آمِناً وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ) (العنكبوت: ٦٧).
قال الشوكاني رحمه الله: المعنى: ألم ينظروا . يعني: كفار قريش . أنا جعلنا حرمهم هذا حرماً آمناً يأمن فيه ساكنه من الغارة والقتل والسبي والنهب فصاروا في سلامة وعافية مما صار فيه غيرهم من العرب، فإنهم في كل حين تَطْرُقُهم الغارات، وتجتاح أموالهم الغزاة، وتسفك دماءهم الجنود، وتستبيح حرمهم وأموالهم شُطّار العرب وشياطينها (فتح القدير، ج٤/ص٢١٢).
عبد الرحمن: أشعر أني بحاجة لإحضار كوب من القهوة. هل أحضر لك كوباً معي؟
محسن: إذا تكرّمت.



خصائص وفضائل!

عبد الرحمن: كوبان من القهوة ، لو سمحت.

مضيف الطائرة: حسناً. لقد انهمكتما بقراءة الكتاب!

عبد الرحمن: إنّه كتاب رائع. والأجمل أنّه يتحدّث عن مجال عملنا.

مضيف الطائرة: ذكّرني بمجال عملكما يا سيدي لقد نسيت.

عبد الرحمن: نحن ضمن فريق القوات الخاصة لأمن الحج والعمرة، ومهمتنا المساهمة في حفظ أمن وفد الرحمن.

مضيف الطائرة: أوووه، نعم، تذكرت. هنيئاً لكما، ستعملان في بساط مُلك الله تعالى! يا لها من نعمة! لقد أكرمكما الله تعالى لتكونا حارسين على أمن بيته، وسلامة وفده، وسكّان بلده الحرام؟

عبد الرحمن: اسمح لي بهذا السؤال، لكنّي أجدك للمرة الثانية تتأثر جداً كلما ذكرت لك اسم مكّة المكرّمة.

مضيف الطائرة: أنا من أبناء مكة المكرّمة.. وُلدت بها وترعرعت في أحضانها، واستنشقت هواءها، وشربت من زمزمها. لقد اختلط حبّها في كياني كلّه. حسناً، ها هو الشاي خصيصاً لك ولأخيك. وأنا في خدمتكما طوال الرحلة، ما دمتما متجهان لخدمة البلد الحرام.

عبد الرحمن: بارك الله فيك. وددت أنّا نجد فرصة أخرى للحديث معك. حديثك فيه نبرة صادقة وحبّ عميق لمكة.



مضيف الطائرة: لا عليك. ستلتقي بالكثير من أهل مكّة الذين يحملون هذا الشعور تجاه بلد الله الحرام.. كباراً وصغاراً.

عبد الرحمن: اسمح لي.

محسن: كلّ هذا الوقت لإعداد كوبين من القهوة؟

عبد الرحمن: هذا الرّجل يحيّرني فعلاً.

محسن: من؟

عبد الرحمن: مضيف الطائرة. في كلّ مرّة أتعلّم منه شيئاً جديداً يزيد من قناعتي، ويبصّرني بشرف مهمّتي. إنّه من أبناء مكّة.

محسن: ليس غريباً. كلّ من أدرك شرف الجوار ونشأ في خير دار لا بد وأن يظهر هذا التعظيم على لسانه، وفي أخلاقه وتعامله مع الآخرين. ناولني كوب القهوة.

عبد الرحمن: تفضّل.

محسن: لقد اخترت لك ثلاثة عناوين مهمّة من هذا الكتاب تتعلق بصلب عملنا.

عبد الرحمن: هل يمكننا الفراغ منها قبل هبوط الطائرة.

محسن: بإذن الله. موضوعاتها قصير. الموضوع الأوّل يتناول تحريم الله تعالى حمل السلاح بمكة، وتوعّد الملحد فيها.

عبد الرحمن: ممتاز. هذا من صلب عملنا كما ذكرت.

محسن: يقول الكتاب:

مكة بلدٌ محرّم، لا يُحمَل فيها السلاح ولا يُشهر إلاّ للحاجة والضرورة. عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سمعت النّبي صلّى الله عليه وسلّم يقول: " لا يحلّ لأحدكم أن يحمل بمكة السِّلاح" (أخرجه مسلم، ١٣٥٦).





عبد الرحمن: نحن نحتاج لحمل السلاح في عملنا، فهل يحرم ذلك علينا كذلك؟

محسن: اصبر قليلاً. لم أفرغ من حديثي:

قال القاضي عياض : هذا النّهي عن حمل السلاح بمكة محمول عند أهل العلم على حمله لغير ضرورة ولا حاجة، فإن كان خوف وحاجة إليها؛ جاز.

عبد الرحمن: هكذا اتضح الأمر. ما العنوان الثاني؟

محسن : في كلّ مرّة أعود فيها للعمل في مكة المكرمة أشعر بفضل الله تعالى أن اختارني للعمل في بلده الحرام وخدمة ضيوف الرحمن. إنّه اصطفاء عظيم يتمنّاه كل رجل أمن بالمملكة.

عبد الرحمن: صدقت. ماذا عن الموضوع الثاني في الكتاب؟

محسن: العنوان الثاني يتحدّث عن تطهير الله تعالى لمكّة المكرّمة من النّجَس، وحفظها من دخول الكفر. يقول الكتاب:

أراد الله تعالى أن يكون بيته طاهرًا حسًّا ومعنى: حسًّا من النجاسات والقاذورات، ومعنى من الأصنام والأوثان، وأراد من أهله الالتزام بالتوحيد والإسلام، وأراده أن يتميز بذلك، فإنه منع أهل الكفر والشرك من دخوله. بحيث لا يعمر إلا بأهل الإسلام والإيمان وأعمالهم الطيبة. قال تعالى:{يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا} [التوبة:٢٨].

عبد الرحمن: سبحان الله! كل هذا الطُّهر والأمن بمكّة المكرّمة؟ إذن كل شيء بداخلها سيناله نصيب من هذا الأمن ولا شك؟

محسن: أحسنت. وهذا هو العنوان الثالث والأخير في الكتاب، ويتناول ما ذكرت بالضبط.

عبد الرحمن: ماذا تقصد؟



محسن: هذا الموضوع يتحدّث عن حمى الله تعالى للصيد والشجر بمكّة لتأكيد أمنها. يقول الكتاب:

ما من بلد يحرُم على أهله الصيد في كل زمان ومكان، ومن كلّ أحد سوى مكّة المكرّمة؛ فالصيد فيها لا يجوز للمُحرم وغيره، بل جاء المنع من تنفير الصيد بمكة أو إخافته أو الاحتيال على قتله، قال ابن المنذر: أجمعوا على أن صيد الحرم حرام، على الحلال والحرام.

وبمثل حكم الصيد دلت الأحاديث على تحريم قطع شجر الحرم ونباته ولو كان شوكًا غير الإذخر، وذلك مما أنبته الله تعالى من غير ما زرعه الناس، أما ما زرعه الناس في مكة فاختلف العلماء في حلّ قطعه. عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النّبي ﷺ قال: (إنّ الله حرم مكة، فلم تحلَّ لأحد قبلي، ولا تحلُّ لأحدٍ بعدي، وإنما أحلت لي ساعةً من نهارٍ، لا يُختلى خلاها، ولا يُعضد شجرها، ولا يُنفَّر صيدها، ولا تُلتقط لُقَطتها إلا لمعرِّف). قال العباس: يا رسول الله، إلا الإذخر لِصاغتِنا وقبورنا. فقال: (إلاّ الإذخر). (متفق عليه).

عبد الرحمن: ما المقصود بهذا الكلام الأخير؟

محسن: دعني أقرأ معاني الكلمات في الأسفل. (لا يُختلى خلاها): الخلا هو: النبات الرّطب الرقيق ما دام رطبًا، واختلاؤه: قطعه. يعني حرام قطع الحشيش الذي ينبت بنفسه في مكّة إلا الإذخر. وقوله (لا يُعضد شجرها): نهي أن يُقطع شجر مكّة كذلك.









في أرض القداسة

إعداد

مكتبة الحرم المكي الشريف

إنتاج

إدارة المطبوعات والنشر